مجلة عالم الكتاب ١٩٩٠

عروض موقعه

أشعار جزائرية

● أشعار جزائرية / تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله . — [الجزائر] : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1988 . — 159 ص ؛ 22سم . — يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية .

د. حسن فتح الباب

منذ تفتحت عيناه على الحياة فى واحة « الوادى » بالجنوب الصحراوى الجزائرى حيث ولد أديبنا المؤرخ الدكتور « أبو القاسم سعد الله » بعد مائة عام من الغزو الاستعمارى الفرنسى لموطنه حتى عودته من الولايات المتحدة الأمريكية سالما غانما درجة الدكتوراه من جامعة منيسوتا فى التاريخ والعلوم السياسية سنة ١٩٦٥ ، وكان قد تخرج من قبل فى كلية دار العلوم بالقاهرة وحصل على شهادة الماجستير ، ظل الصبى النحيل ثم الفتى الطموح المثابر وبعدهما الشاب الناضج حسا وعقلا والشاعر الثائر على العدو المستعمر يواصل رحلة حياته مفعما بإرادة الصمود والتحدى والكفاح فى مواجهة أقسى الظروف البيئية والاجتماعية والتاريخية ، مستمدا طاقة المقاومة من صلابة المنبت الجغرافى ، وتجليات الحضارة العربية الإسلامية ، وثورات وطنه الموغلة فى سحيق العصور .

ولم تنفصل محطات هذه الحياة المتواترة الحلقات دون دائرية أو تراجع عن مسيرته الأدبية والفكرية والتاريخية يوما واحدا حتى الآن ، بل امتزجتا ماء واحدا بين ضفتى نهر باركته نزعة الإصرار على الصعود والتقدم فى سبيل البحث العلمى رغم وعثاء الطريق ، والتوعية بالحقائق التى يسفر عنها التنقيب بين حفائر التاريخ التى تتمثل فى المخطوطات المبعثرة فى شتى المكتبات غربا وشرقا وفى مختلف مظان البحث ، والإسهام فى إحياء القيم الإيجابية لموروثنا الثقافى حتى نجد لنا مكانا معرفيا كريما ونسترد مكانتنا تحت سقف هذا العالم الذى حققت ثورته العلمية والثقافية فى الخمسين عاما الأخيرة أضعاف ما تحقق فى تاريخه كله . وتراءت مسيرة الرجل الأدبية والعلمية وسيرته الشخصية صنوين لايفترقان بل يستقيان من نبع واحد ، هو الالتزام بالنهج الواضح المستقيم دون تعقيد أو التواء أو مجانبة للحقيقة .

وقد عمل الدكتور أبو القاسم سعد الله أستاذا فى جامعة « أوكلير » بولاية « ويسكنسن » الامريكية ، ووكيلا لكلية الآداب ورئيسا لقسم التاريخ بجامعة الجزائر ، وما زال يضطلع بهذه المهمة . كما عمل أستاذا زائرا فى عدة بلدان عربية ، وشارك فى كثير من المؤتمرات الفكرية والأدبية ، وأشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراة ، وقد انضم أخيرا إلى أسرة علماء المجمع اللغوى بالقاهرة إذ حاز عضويته بالانتخاب ، مفضلا ذلك على إغراءات المناصب المرموقة .

ولقد كانت حصيلة الموهبة والدراسة الجادة العميقة طوال ثلاثين عاما نحو ثلاثين مؤلفا بين شعر ونثر ، فأما الشعر فقد نشره فى مجموعتين هما : (النصر للجزائر) و (ثائر وحب)

المنشورتان فى القاهرة ولبنان والجزائر ، واللتان ضمنهما ديوانه الجامع (الزمن الأخضر) الصادر بالجزائر سنة ١٩٨٥ . وأما النثر فقد تنوع ما بين قصص فى مجموعته (سعفة خضراء) ، ودراسات أدبية هى : (شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة) الحائز بها على الماجستير من كلية دار العلوم بالقاهرة ، و (تجارب الأدب والرحلة) ، ودراسات تاريخية هى : (الحركة الوطنية الجزائرية) من ثلاثة أجزاء ، و (تاريخ الجزائر الثقافى) من جزأين ، و (محاضرات فى تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال) و (أبحاث وآراء فى تاريخ الجزائر) من قسمين ، ودراسات فكرية هى : (منطلقات فكرية) و (شعوب وقوميات) و (قضايا شائكة) ، وترجمة كتاب تشرشل (حياة الأمير عبد القادر) ، وكتاب جون وولف (الجزائر وأوروبا) ، ودراسة وتحقيق مخطوطات تاريخية وأدبية هى : (حكاية العشاق ـ قصة شعبية) و (القاضى الأديب الشاذلى القسطنطيني) و (تاريخ العدوانى) و (رائد التجديد الإسلامى : ابن العنابى) و (شيخ الإسلام : عبد الكريم الفكون) و (منشور الهداية فى كشف حال من ادعى العلم والولاية) للفكون ، و (الطبيب الرحالة : ابن حمادوش) و (رحلة ابن حمادوش : لسان المقال) ، وأخيرا كتاب (أشعار جزائرية) الذى نعرضه فى هذا المقال ، وقد أهله هذا الانتاج الزاخر الأصيل لترشيحه أخيرا لجائزة الملك فيصل .

ـ القيم العلمية والخلقية :

إن المتابع لحركة البحث والتأليف والتحقيق فى وطننا العربى الكبير يسترعى نظره هذا الفيض العلمى الموفور الخصب والمتنوع للدكتور سعد الله ، والذى يشغل به عن جدارة موقعا متقدما بين المفكرين والباحثين العرب عامة والجزائريين خاصة ، فهو من أغزرهم عطاء وأكثرهم دأبا فى ميدان الدراسات التاريخية والسياسية والأدبية والنقدية وتحقيق التراث العربى الإسلامى . وتندرج كتبه المؤلفة والمترجمة فى منظومة المراجع العلمية القيمة . هذا إلى جانب ريادته للشعر الحر فى الجزائر ، ومن ثم يدين له شعراء اليوم بالجزائر بحق الأبوة ، فهو الذى مهد لهم طريق الإبداع الشعرى الحديث وإن كان يجمع فى شعره بين النمطين التقليدى والجديد .

وأول ما يلحظه القارئ والناقد نزعة الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى ارتياد آفاق جديدة لم تطرق من قبل أوندر طرقها أو ألم بها المستشرقون ولا سيما الفرنسيون منهم إلمام الأجنبى المتسرع أو الجاهل بالأصول والدوافع والقيم الحقيقية أو المغرض الذى تستخدمه مصالح المخابرات المعادية للأمة العربية والعقيدة الإسلامية ، فعكف سعد الله على تاريخ الجزائر ، ولاسيما الجانب الثقافى منه وتطور الحركة الوطنية ، كشفا وتأصيلا ، وجاءت مؤلفاته المتتابعة كأنما هى من نتاج مؤسسة علمية بأدق معنى الكلمة ، إذ تتوافر فيها خصائص العالم المحقق المدقق ، والدارس الموضوعى الملتزم بأصول المنهجية الحديثة ، والدءوب فى بحثه عن الجذور الفائتة والحلقات المفقودة حتى يتسنى له وصل البدايات بمسار التطور وآثاره انطلاقا من الأصل البعيد حتى الفرع القريب ، على هدى البصيرة النقدية النافذة ، والحس العلمى السليم ، والاستيعاب الشامل ، والرؤية المستقبلية دون غلو ولا استعلاء ، ذلك لأن الدكتور سعد الله أدرك مبكرا إحدى المسلمات الأساسية فى البحث العلمى وهى أن قيمة النتائج تتوقف على مايتمتع به الباحث من نزاهة فى العرض ، ودقة وعمق فى التحليل ، وسلامة منهجية واستدلالية ، وأخيرا وليس آخرا هدف نبيل يتمثل فى خدمة العلم والحضارة الإنسانية وترقيتها .

ـ مضمون الكتاب والدرس المستفاد :

فى ضوء تلك القيم والمعايير العلمية والخلقية تواصلت مؤلفات سعد الله الثرة والثرية وآخرها كتاب (أشعار جزائرية) الذى قدم له وحققه وعلق عليه ثم أخرجته المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر منذ بضعة شهور . وقد اطلع على المخطوطة موضوع كتابه فى دار الخزانة العامة بالرباط ، وهى تسمى (أشعار جزائرية مختلفة) وصاحبها المصنف هو الشاعر الجزائرى ابن على المولود فى الجزائر ـ حسبما يرجح المحقق ـ سنة ١٠٩٠ ميلادية .

ويقع الكتاب فى (١٥٨) صفحة من القطع المتوسط ، وهو مذيل بنماذج من خط المؤلف مصورة تحتوى على بعض القصائد أوالمقاطع الشعرية والتعليق عليها ، وثبت بمراجع التحقيق وفهرس الأسماء والأعلام .

ويدل التصدير والمقدمة على ما بذله الدكتور سعد الله من جهد بلغ حد المعاناة فى سبيل توثيق المخطوط وبعثه من عتمة المجهول إلى النور بعد قراءات ومقابلات ومذاكرات مستفيضة ، لتجميع ما نثر وتحقيق ما كاد يندثر وتمحيص وتدقيق ومقارنة ليست كلها بمستغربة فى أعمال باحثنا ولا سيما

بعد الخبرة الطويلة التى اكتسبها من الممارسة . وهو يبين فى تقديمه الحافز الأساسى الذى دفعه إلى تحقيق المخطوط وذلك فى قوله : (إن النقد الذى يوجهه الكتاب دائما إلى العهد العثمانى فى الجزائر جهلا منهم بانتاجه ، والبحث عن النصوص الأدبية والتاريخية التى هى ضالة الباحثين فى هذا العصر ، والتشدق بالحديث عما يسمى بالثقافة الشعبية التى يراد بها الكيد للثقافة العربية الإسلامية الراقية فى الجزائر - كل ذلك حملنى على الرجوع إلى هذه الأشعار ودراستها وتقديمها للقراء ، كشواهد جديدة على رقى الأدب العربى فى الجزائر العثمانى ، وكأداة للبحاثين والدارسين ليستفيدوا منها فى أعمالهم المستقبلية بدل بقائها مطمورة فى دهاليز المكتبات)

ويثير الدكتور أبو القاسم سعد الله فى هذه المقولة إشكاليتين يدور حول محوريها اختلاف فى وجهات النظر بينه وبين فريق من الباحثين ولا سيما فى المشرق العربى ، فهو يرى أن الثقافة الشعبية أو ما اصطلح على تسميتها أحيانا بالفلكلور الذى يتضمن الشعر والغناء والموسيقى والأمثال والحكم وغيرها من أنواع التراث الشعبى ، وإن كان مفهوم العبارة حسب السياق يقتصر على الشعر الشعبى أو العامى الذى يطلق عليه أحيانا لفظ « الزجل » - يرى أن هذه الثقافة الشعبية ضد للثقافة العربية الإسلامية الراقية فى الجزائر ، ومن ثم تمثل خطرا عليها . ونحن لا نتفق مع باحثنا الكبير فيما يذهب إليه ، فقد أصبحت دراسة الثقافة الشعبية علما لا يختلف عن سائر العلوم الإنسانية ، فله مناهجه وقواعده التى أرساها المتخصصون فى هذه الدراسة شرقا وغربا بعد أبحاث طويلة متعمقة استعانوا فيها بأدوات الدراسات المعرفية المختلفة حتى تبلورت تلك المناهج والقواعد ونشأ منه فرع علمى مستقل أصبح الآن يدرس فى كثير من الجامعات والمعاهد ولاينكره أو يقلل من شأنه أحد ، وله أساتذة من كبار العلماء والباحثين وناشئة على الطريق من الدارسين ، وأطروحات جامعية تثرى البحث العلمى فى كثير من مجالاته وفى مقدمتها علوم النفس والاجتماع والإنسان (الانثروبولوجيا) والتاريخ .

ذلك أن الثقافة الشعبية هى إحدى وسائل التعبير التى أبدعتها وطورتها الشعوب على مدار التاريخ وأودعتها عاداتها وتقاليدها فى سلوكها اليومى ، كما أفرغت فيها خلاصة تجاربها الحياتية والروحية ، وما استقر فى حسها وضميرها وما اصطلح على تسميته بالرأى العام من رغبات وأشواق ومخاوف ونزعات فى السراء والضراء ، حتى غدت هذه الثقافة تمثل مخزونا ضخما فى أعماقها يلهمها ويسدد خطاها وتحفظ توازنها الاجتماعى ، وتتخذ منه درعا تتقى به ضراوة الأحداث التى تنزل بساحتها سواء من فعل الانسان فى الخارج أو الداخل أو بفعل الطبيعة والقضاء والقدر . ومن أبرز أشكال الثقافة الشعبية - فى مجال فنون القول - شعر المقاومة ، فإذا استشهدنا بالجزائر أمدنا التاريخ بكنز ثمين من القصيد الشعبى فى هذا الميدان ، ومن ذلك أشعار المناضل محمد بلخير رفيق البطل الثائر على الاستعمار الاستيطانى الفرنسى فى القرن الماضى الشيخ بو عمامة ، تلك الأشعار التى تغنى فيها ببطولات الشعب وزعيمه ، وقصائد الشاعر الأخضر بن خلوف الذى فى القرن السادس عشر تلك البطولات أيضا فى ملحمة صور فيها وقائع معركة « مزغران » التى انتصر فيها أبناء الوطن على الغزاة الاسبان ، فهذان الشاعران لا يقلان أهمية من حيث أثرهما وموقعهما التاريخى - كل فى عصره - عن رائدى شعر ثورة التحرير الجزائرية محمد العيد آل خليفة ومفدى زاريا ، وتعد آثارهما الشعرية مصادر للبحوث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بالاضافة إلى القيمة التعبيرية فى صدقها وأصالتها ، فهى وثائق تاريخية بمعنى الكلمة .

ومع ذلك ، فإن للدكتور أبو القاسم سعد الله عذره فى التخوف على الثقافة العربية الإسلامية من انتشار الثقافة الشعبية ، هذا الانتشار الذى عده كيدا من مريديها لما يقصد إليه حسبما يرى من تدمير الثقافة العربية الإسلامية ، فلهذا التخوف سند من الواقع التاريخى فى الجزائر بصفة خاصة وهو المتمثل فى محاولة الاستعماريين وأذنابهم من المستشرقين المرتبطين بدوائر الاستخبارات كما سبق أن ذكرنا ، ومن بعض أبناء البلاد أنفسهم ، هؤلاء الذين تلتقى مصالحهم مع مصالح العدو الدخيل وأهدافه ، وكذلك حقدتهم فى النزعة الصليبية فى الوقت الراهن - محاولة أولئك وهؤلاء استبدال اللهجات العامية باللغة الفصحى ، لغة الآباء والأجداد ، لغة الحضارة العربية الإسلامية ، كى يفرغوا أصحاب الأرض والتاريخ من أهم مقوماتهم ، فيسهل عليهم بذلك اقتيادهم والسيطرة عليهم وإلحاقهم بعجلة أعدائهم ، وهى محاولة تتخذ أساليب تمويهية شتى ، وتصطنع حيلا مصطبغة بالعلم والحضارة وهما منها براء ، مثل هذه الدعوة إلى إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية وغير ذلك من وسائل التضليل ، ولما كانت اللغة هى وعاء الثقافة ، فإن القضاء عليها طمس وإفناء للثقافة .

إن الجزائر كانت إلى عهد قريب تجاهد فى سبيل القضاء على رواسب الاستعمار وأخطرها التبعية اللغوية والفكرية التى تهدد استقلال الوطن بعد انتصاره فى معارك قدم فيها مليونا ونصف مليون من الشهداء لاسترداد الحرية المغتصبة والحفاظ على الأرض والعقيدة واللغة . ويقف الدكتور سعد الله ورفقاؤه من العلماء والباحثين أبناء الشعب البررة فى الطليعة المتراصة للذود عن أصالة الجزائر وكشف خطط المتربصين بمكتسبات الثورة ومؤامراتهم الرامية إلى إلباس الباطل ثوب الحق وتزوير التاريخ الثقافى تزويرا لايقل بشاعة عنه فى الجوانب الأخرى العسكرية والمدنية .

أما الإشكالية الثانية التى يثيرها الدكتور أبو القاسم سعد الله فى مقدمته لكتاب (أشعار جزائرية) الذى حققه فهى شهادته برقى الأدب العربى فى الجزائر خلال حقبة الحكم العثمانى ، مناقضا بذلك ما يكاد يكون إحدى المسلمات فى المشرق العربى لدى الكثرة الغالبة من المؤرخين وغيرهم من الباحثين فى مجال العلوم الانسانية ، فهم يرون أن العصر العثمانى هو عصر الاستبداد والانحطاط الفكرى . ونظرا إلى اختلاف الظروف والملابسات التى أحاطت بفتح العثمانيين لبلدان المشرق العربى عن مثيلاتها فى المغرب العربى وخاصة الجزائر ، فقد ترتب على هذا الاختلاف بين المؤرخين فى جناحى الأمة العربية ، فالمغاربة عامة والجزائريون خاصة لا يرى أكثرهم أن العصر العثمانى عصر احتلال ، بل يعتقدون أن العثمانيين إخوة فى الإسلام جاءوا إلى الجزائر حين استنجد أهلها بهم لمحاربة الإسبانيين المعتدين ، ثم أقاموا فيها بناء على رضاء عام منهم ، فتصاهروا وامتزجوا روحيا . فالدين الواحد هو العروة الوثقى للطرفين ، وهو يسبق الانتماء إلى العروبة . أما فى المشرق فإن الأمر يختلف ، ولاعجب فهو منبت القومية العربية التى كانت منطلقا للكفاح ضد التتريك ونظام الخلافة العثمانية كما هو معروف .

فإذا انتقلنا من هاتين الاشكاليتين إلى الأشعار التى اختارها ابن على فى مخطوطه تبين لنا ـ كما جاء فى مقدمة العالم المحقق ـ أنها تتناول القرنين الحادى عشر والثانى عشر للهجرة الموافقين للقرنين السابع عشر والثامن عشر فى التقويم الميلادى ، وأن هدف ابن على كان عرض نماذج من الأشعار غير مرتبة لأبرز الشعراء خلال القرنين المذكورين ، وهو يذكر مع كل قطعة مناسبتها ، ويضيف إليها بعض المعلومات موضحا أو منبها على أمور فيها . ولم يكن غرضه الترجمة لأصحاب القصائد . وهو فى هذه الطريقة يختلف مع طريقة صديقه وتلميذه ابن عمار الذى اختار فى كتابه « لواء النصر فى فضلاء العصر » الترجمة والنص معا .

ونظرا لأن الشعر ـ مثله فى ذلك مثل سائر الفنون ـ يتأثر بالأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة فى عصره ، بل هو انعكاس لها ونضح لنهر الواقع المتدفق أو الراكد ، كما أنه يؤثر فى هذا الواقع إلى حد يختلف مداه شدة أو ضعفا باختلاف مكونات الشاعر البيئية والثقافية وغيرها ، فقد أشار مؤرخنا الدكتور سعد الله إلى هذه الأوضاع ، مفرقا فى ذلك بين القرنين المشار إليهما ، فأما الأول (فكان عصر ازدهار اقتصادى فى الجزائر على ما يذكر المؤرخون . وقد أصبحت مدينة الجزائر عندئذ تدعى « اسطانبول الصغرى » وقصدها علماء المسلمين مشرقا ومغربا طالبين الرزق والحظوة . وبالاضافة إلى العلماء والمثقفين حل بالجزائر عندئذ أصحاب الطرق الصوفية وأهل الخرافة والشعوذة ولا سيما من المغرب . ولكن الحياة السياسية فى الجزائر عندئذ كانت غير مستقرة . . أما القرن الثانى عشر الهجرى فقد شهد تطورا عكسيا إلى حدما ، فبينما استقرت الأوضاع السياسية ضعفت الحياة الاقتصادية بل تدهورت تدريجيا . . وتوترت العلاقات مع اسطانبول ومع الدول الأوربية ، نتيجة الحروب مع إسبانيا ، وحملة فرنسا على مصر ، ومؤتمر فيينا ، والحملة الانكليزية ١٨٠٦ ، والتهديد الأمريكى ١٨١٥ ، ثم واقعة نافرينو ١٨٢٧ ، وأخيرا الحصار الفرنسى .

وفى تقييم إنتاج شعراء تلك الحقبة ممن شملهم المخطوط يقول الدكتور سعد الله (فى ذلك الجو قال ابن على وابن عمار وابن ميمون شعرهم ، وكان شعرا فى جملته يعبر عن متانة ثقافة هؤلاء الشعراء وتمكنهم من البيان العربى والذوق الفنى والثقافة الإسلامية الأدبية التى تمتد جذورها عبر انتاج شعراء الأندلس وبغداد ودمشق والحجاز ومصر) ، ويستطرد المحقق فى هذا التقيم فيعقد مقارنة بين أولئك الشعراء الجزائرين وبين الشعراء الأندلسيين قائلا : (إن المتمعن فى شعر هؤلاء يجد آثار المدرسة الأندلسية بارزة . فالموشحات ووصف الرياض والطبيعة عموما والتشبيب ودقة الألفاظ وبعد الأخيلة ، كل ذلك من آثار المدرسة الأندلسية) .

ثم يخلص من هذه المقارنة إلى الحكم بارتفاع مستوى أصحاب القصائد المختارة إلى ذروة عالية فى فن الشعر تجعلهم جديرين بمباهاة الجزائر بتراثهم ، بل يذهب الدكتور سعد الله

فى ذلك إلى القول بتفردهم فى الشخصية وتميزهم على أندادهم من المعاصرين لهم : (إن شخصية هؤلاء الشعراء ، سيما ابن على وابن عمار ، ويلحق بهما ابن الشاهد ، عندئذ تعتبر مفخرة للتراث الجزائرى العربى . ولا نعلم شاعرا فى القرن الثانى عشر فى المشرق أو فى المغرب بلغ مبلغ ابن على فى قوة النفس واتساع العارضة والحبكة الشعرية وطواعية المعانى للألفاظ ومواتاة الصور . ولو أنصف مؤرخو الأدب شعر ابن على لجعلوه فى كتبهم المقررة وأولوه العناية التى يستحقها لدى الجيل الحاضر فى الجامعات والمدارس) .

تلك هى الأهمية الأدبية للمخطوط ، أما الأهمية التاريخية فيها يرى الدكتور سعد الله فيدل عليها أنه يشتمل على قصيدتين تتناولان العلاقات بين الجزائر واسطنبول عندئذ ، أولاهما (قصيدة محمد القوجيلى التى تقدم بها إلى مفتى الدولة العثمانية ، وكان هذا الشاعر قد جاء على رأس بعثة سنة ١٠٦٥ هـ إلى اسطنبول لمقابلة السلطان فى أمر يهم المصلحة المشتركة . . فهذه القصيدة تلقى ضوءا على هذه الظروف ، كما تلقى ضوءا على دور العلماء فى العلاقات السياسية ودور الشعر بالخصوص . وأما القصيدة السياسية الثانية فهى قصيدة أحمد المانجلاتى التى كتبها فى التعريف بالمفتى سعيد قدورة لدى مفتى اسطنبول) .

وقد تعددت الأغراض التى كتب فيها الشعراء ، فمنها التغنى بمدينة الجزائر وغيرها من المدن وذكر البلاد العربية فى المشرق والمغرب ، كما تضمنت بعض القصائد ملامح يستدل منها على العلاقات العائلية والإنسانية ، وعلاقات العلماء وغيرهم من طبقة المثقفين بعضهم ببعض ، هذا بالاضافة إلى الأغراض التقليدية من غزل ووصف وتشبيب تستهل بها فى الأغلب الأعم قصائد المديح والرثاء ، وتشغل الأخوانيات التى تتمثل غالبا فى المطارحات والمساجلات بين الشعراء ولا سيما ابن عمار مساحة ملحوظة من رقعة القصائد .

ومن الحق ما ارتآه الدكتور سعد الله من تفوق ابن على على أقرانه الجزائريين ، ولكن شتان ما بينه ما بينه وبين شعراء الأندلس مثل ابن خفاجة وابن زيدون . فموقعه فى مرتبة وسطى بين الشعر الأندلسى المتألق والشعر العثمانى المعتم ، بل إنه لا يبلغ مكانة البهاء زهير ، لأن أكثر قصائد تندرج فى باب النظم وأقلها فى باب الشعر ، وهو مقلد أكثر منه مجددا ، ومع ذلك فإن تلك القصائد تمثل طاقة مشعة فى مرحلة بدأت أضواء الحضارة تنسحب عنها ، وليس من المتوقع إذاً أن يجود ابن على بمثل عطاء الشعراء الأندلسيين فى حقبة ازدهار دولتهم .

ولولا الجهد الوافر الذى بذله الدكتور أبو القاسم سعد الله فى تحقيق مخطوط (أشعار جزائرية) ، وما اقتضاه ذلك من مشقة بالغة فى البحث والاطلاع على العديد من كتب الأدب والتاريخ والتراجم والرحلات والمجاميع والوثائق ، لظلت هذه الأشعار مطوية فى غيابة النسيان ، فهو بتحقيقه هذا كشف النقاب عن حلقة كانت مفقودة فى سلسلة الأدب العربى لا يعرفها حتى المتخصصين فى الأدب وتاريخه ، فطالما سلط الكتاب والنقاد أشعة البحث على مختلف العصور الأدبية ، مسقطين من حسابهم شعر المغرب العربى والجزائر خاصة العصر العثمانى ، متجاهلين الانتاج الشعرى فى تلك الرقعة الفسيحة من الوطن العربى الكبير خلال ذلك العصر ، رغم الفائدة العلمية المحققة من الاهتمام بهذا الشعر ، وبغض النظر عن مستواه الفنى ، فيكفى أن قصائده تعد بمثابة وثائق تاريخية مصورة ومعبرة .